الآيتان ٢٦٨-٢٦٩

تخويف الشيطان من الفقر والفهم الصحيح للقرآن

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ .

المعنى العام

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ أي: يخوفكم الفقر، لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم، ومخالفة الخلّاق، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أي: في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء ﴿وَفَضْلًا﴾ أي: في مقابلة ما خوّفكم الشيطان من الفقر ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي واسع الفضل والعطاء عليم بمن يستحق الثناء.

يقول الحق ﷻ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ﴾ أي: يخوفكم الفقر بسبب الإنفاق، ويقول في وسوسته: إن أعطيت مالك بقيت فقيرا تتكفف الناس، ويأمركم بالفحشاء أي: ويأمركم بالبخل والشح، والعرب تسمي البخيل فاحشا، وفي الحديث: "عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ﷻ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ)) [(١)].

وفي حديث آخر: عن بن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: ((تَجَافَوْا عَنْ ذَنْبِ السَّخِيِّ، فَإِنَّ اللَّهَ آخِذٌ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَثَرَ)) [(٢)].

والله يعدكم في الإنفاق مغفرة منه لذنوبكم، وسترًا لعيوبكم، وفضلاً أي: خلفًا أفضل مما أنفقتم في الدنيا والآخرة، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بما أنفقتم، ولماذا أنفقتم، وفيما أخلصتم، لا يخفى عليه شيء من أموركم.

عن عبدالله ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةٌ، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ. فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ)) [(٣)]. ثمّ قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ اي: يؤتي الحق تعالى الحكمة من يشاء من عباده، وهي التفقه في الدّين والتبصّر في الأمور. قال ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي

(١) رواه الترمذي في سننه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٩٦١، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في السخاء، الحديث غريب.
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، عن ابن عباس، كتاب: ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد، باب: ذو النون المصري ومنهم العلم المضي والحكم المرضي، الحديث حسن لغيره.
(٣) رواه الترمذي في سننه، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٢٢٩٨٨، ٤٤- أبواب تفسير القرآن، باب: من سورة البقرة، الحديث حسن غريب.
(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، عن عبد الله بن مسعود، كتاب: الطبقة الأولى من التابعين، باب: شقيق بن سلمة فمنهم الواله الذابل، الحديث حسن غريب.

الدِّينِ، وَيُلْهِمُهُ رُشْدَهُ)) [٤]، وقيل: الحكمة: الإصابة في الرأي. وقيل: الفهم في كتاب الله. وقيل: الفهم عن الله. ومن يؤت الحكمة أي: أعطيها، فقد أوتي خيرا كثيرا لأنَّه حاز خير الدارين، ولا شك أن من حقّق العلم بالله وبأحكامه، وأتقن العمل بما أمره الله به، فقد صفا قلبه، وتطهّر سرّه، فصار من أولي الألباب ولذلك قال عقبه: وما يذكر إلا أولوا الألباب.

وقال أبو العالية: الحكمة خشية الله، فإن خشية الله رأس كل حكمة، وقد روى ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعًا[١]: "**رأس الحكمة مخافة الله**") وقال إبراهيم النخعي: الحكمة الفهم، وقال أبو مالك: الحكمة السنة، وروى ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم: الحكمة العقل، قال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله والصحيح: أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوّة، بل هي أعم منها، وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع.

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)) [٢].

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيتين:

١. التحذير من الشيطان ووجوب مجاهدته بالإعراض عن وساوسه ومخالفة أوامره.

٢. كل فكرة فيها خوف وقلق من المستقبل هي من الشيطان. فإنّ المؤمن يثق بأن الذي قدّره الله له هو عين الخير، فلا يخاف من ما هو آت، ولا يحزن على ما فات، ويحسن ظنه دوما باختيار الله من له كمال الصفات.

٣. يَعِدُ الشيطانُ الفقرَ لفقره، والله يَعِدُ المغفرةَ لكرمه.

٤. الشيطانُ يعدكم الفقر فيشير عليكم بإحراز المعلوم، ويقال يشير عليكم - بطاعته - بالحرص؛ ولا فقرَ فوق البخل أو الحرص، يشعر الانسان بالفقر وهو غني.

٥. يعدكم الفقر بالإحالة على تدبيركم واختياركم، يعني يغلق عليكم أبواب الأسباب، والفرج يأتي من الكريم الوهاب.

٦. يعدكم الفقر بنسيان ما تَعَوَّدْتُموه من فضله - سبحانه، فهو الذي أغدق عليك بالنعم من قبل أن تخلق وإلى الآن من قبل أن تسأله إيّاها.

٧. ويقال يعدكم الفقر بأنَّه يزيد من شكايتك، يذكرك البلايا وينسيك النعم.

٨. إجابة نداء الله والعمل بإرشاده ألا وهو حسن الظن بالله والتصديق بوعد الله: قال ﷺ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ،

(١) ورواه أيضًا الحكيم التّرمذيّ وصححه السيوطي في الجامع الصغير، ورواه أيضًا البيهقي عن ابن مسعود أيضًا في شعب الإيمان وضعفه.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن ابن مسعود، حديث رقم: ٧٣، كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة.

وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ عَبْدٌ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»[١].

٩.فضل العلم على المال.

١٠.الحكمة هي وضع الشيء في موضعه حتى يأتي على غاية الكمال، ويجري ذلك في العلم والعمل والحال والمعرفة.

١١.الخوف من الله على قدر عرفان القدرة، ووُجْدان حسن الظن على قدر عِرْفان العظمة، ووجدان الافتقار على قدر عرفان الكفاية، ووجدان الصَّفوة على قدر عرفان الفردانية، ووجدان الوصلة على قدر عرفان الربِّ تعالى.

١٢.الحكمة: يحكم عليكم خاطرُ الحقِّ لا داعي النفس، وتحكم عليكم قواهر الحق لا زواجر الشيطان.

١٣.الفرق بين الحكيم والعالِم أن الحكيم يحكم عليه علمه ويعمل بمقتضاه، والعالِم قد لا يعمل بعلمه بل بهواه

١٤.ويقال الحكمة صواب الأمور. ويقال هي ألا تحكم عليك رعوناتُ البشرية. (ومن لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره). ويقال الحكمة موافقة أمر الله تعالى، والسَّفَهُ مخالفة أمره.

من أسماء الله الحسنى: الواسع العليم (سبق شرحه)

من أسماء الله الحسنى: الحكيم: (يؤتي الحكمة)

شرح الاسم: الحكيم

- هو الذي يفعل ما ينبغي على النحو الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي.
- هو العالم بالأشياء على ما هي عليه، والآتي بالأفعال على ما ينبغي أن تكون عليه وهو الذي تُستمد الحكمة منه.
- هو المُقدّس عن فعل ما لا ينبغي، يعني المنزّه عن فعل أمر لا ينبغي.
- هو الذي ليس له أغراض وليس على فعله اعتراض أي ليس له مصلحة في شيء لأنَّه غنيٌّ عن كل شيء.
- هو الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، فأفعاله سديدة وصنعه متقن.
- هو المُحكم لخلق الأشياء أي خلق كل شيء وأتقنه. وهو إتقان التدبير وإحسان التقدير. مع هذا، ليس المطلوب أن يخلق الله ﷻ لك كل شيء جميل، فكل شيء جميل من حيث الحكمة. فالحكيم هو الذي خلق ما ينبغي وصوره على النحو الذي ينبغي وأخرجه في الوقت الذي ينبغي، لأنه هكذا مخلوق في هكذا وقت في هكذا زمان المقصود منه أن تتعرف على أسماء الله.

التعلق باسم الله الحكيم:

- بأن تثق بأنّه ما أمرك بأمرٍ إلا وفيه خيرٌ في دنياك وفي أُخراك وما نهاك عن نهيٍ إلا وفيه شر في دنياك وأُخراك، سواءٌ عرفت الحكمة أم لم تعرف. قال الله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾[٢]
- بأن تثق به وبوعده وبحكمته في الأحكام وفي القضاء والقدر، وأنّ الله لو كشف عنك الغطاء وأراك حقيقة الأمر لاخترت ما اختاره الله لك، هذا المرض وهذا البلاء وهذا العدو، وهذا الخصم، وهذا المنافس، وهذا الفاسد... فتعش راضيًا.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٥٨٨، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيتين:

- تذكر صدقةً جارية أنت متردد فيها أو عملًا صالحًا كحجة الفرض، وباشر بتنفيذه اليوم إرغامًا للشيطان، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.
- اسأل الله أن يرزقك الحكمة، ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

في الأخلاق والآداب

التخلق باسم الله الحكيم.

- بأن تكون حكيمًا في أقوالك وأفعالك، وجميع أمورك.
- بأن تَنظُرَ في عواقِبِ الأُمورِ وأنَّكَ إذا كَرَّرْتَ ما فَعَلَهُ غيرُكَ فستُواجِهُ النّتيجةَ نفسَها الّتي واجَهَها. فانظُرْ: أينَ وَكيفَ نَجَحَ الآخرونَ لِتَنْجَحَ؛ وَانْظُر: ما هي أسبابُ فَشَلِ الآخرينَ أو تعثُّرِهم لِتَتَجَنَّبَهُ.
- بأن تتبع الحكم في القرآن والسُّنّة وتطبّقها.

من الأخلاق المحمّديّة: حُسن الظنّ بالله تعالى

هذا الخُلُق مُستَمَدٌّ من أسماء الله تعالى **"الوهّاب - الفتّاح- المؤمن - الظّاهر- الباطن".**

والتّخلّق باسم الله تعالى "**الوهّاب**" هو أن تعلمَ أنَّ الله تعالى يُحبّ أن يعطيكَ ما فيه خيرُك. فَهوَ ما مَنَعَكَ إلّا لِما في المَنعِ مِن تربيةٍ لَكَ وَسَيَهَبُكَ مِنَ الخيرِ الكثير. وَالتّخلُّقُ باسم الله تعالى "الفتّاح" هو بأن تعلمَ أنَّ تيسيرَ كلِّ عسيرٍ بِيَدِهِ وَحدَهُ، وَيُعطيه لِمَن أَحسَنَ ظنَّهُ بِهِ وَالتَجأَ إليه وَحدَه. والتّخلُّقُ باسم الله تعالى "**المُؤمن**" هو بأن تصدقَ بيقين بأنّ الله هو ﴿خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1] وأن تصدّق بأنّ وعده حقّ، وأنّ الله تعالى سيختار لك الخير دائمًا. وأنّ مع العسر يسرًا، وأنّ ما بعد الضيق إلّا الفرج. وما تراه مِنهُ نِعمة هو مِن تجلّي اسمِهِ "**الظّاهِر**" وما تراهُ بلاءً هوَ في الحقيقةِ نعمةٌ باطنةٌ فيها خيرٌ سَتَعْرِفُهُ بَعدَ حينٍ وَهو مِن تجلّي اسم الله "**الباطِن**".

حسن الظّنّ بالله هو توقّع الجميل من الله تعالى، واليقين أنّ كلّ ما يصيبنا من بلاء، وما ينزل بنا من قضاء الله هو عين الخير لنا. فلا تضعف ولا تملّ. بل افعل ما عليك، وابذل قصارى جهدك، وأنتَ تعلم في داخلك أنّ الله سيختار عنك ما هو خير لك، فلا تعتمد على أحد سواه، واملأ قلبك بالرّضا والتّسليم.

واعلم أنّ كلّ أمورك بيد الله، وبقدرته تحسين حالك إلى الأحسن بكن فيكون، فقد وعدنا تعالى بقوله: ﴿أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بي، إِنْ ظَنَّ خَيرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ﴾[2].

- "هذا الأمر لن يتيسّر! لن أتزوّج! لن يتقدّم إليّ الزّوج الصّالح! لن أُرزق بالأطفال! سأمرض! هذا المرض لا شفاء له! لا يوجد عمل! الاقتصاد وضعه سيّئ! ستنشب حرب...". هذا الصّوت في داخلك هو وسوسةُ شيطانٍ ضعيفٍ

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٤

(٢) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن أبي هريرة. رقم الحديث: ٦٣٩. كتاب: الرّقائق. باب: ذكر بيان بأنّ الله جلّ وعلا- يعطي من ظنّ ما ظنّ. الحديث إسناده صحيح.

يريد أن يخوّفَكَ مِنَ المُستقبل. إذا لم تعرف مكائدَه ولم تحصّن عقلَك منه، وقعَ قلبُك في سوء الظّنّ بالله. ثمّ تركتَ الوسواس يكمل ويقول لك: "أبقِ مالَكَ لَكَ، فإنّك إذا تصدَّقتَ به افتقَرْتَ، وأنت أحقُّ بهذا المال مِن فلان وفلان، قال الله تعالى: ﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ويَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشاءِ﴾[١].

- أصلُ التّفكير الإيجابيّ الّذي تُحدّثُ به نفسَكَ لتنهضَ وتندفعَ إلى الأمام وتُصلح وتُبدِع هو حسن الظّنّ بالله. كما جاء في كتابه تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

إنّ الله يَعِدُكُمْ في الإنفاق مَغْفِرَةً مِنْهُ لذنوبكم، وسترًا لعيوبكم، وَفَضْلًا أي خَلَفًا وعطاء أفضل وأكبر ممّا أنفقتم، في الدّنيا والآخرة.

- درّبْ قلبك وعقلك على حسن الظّنّ بالله، عندها ستتذوّق معنى اللّجوء إلى الله في مصيبتك، وستتعلّم تهدئة قلقك بذكر الله، والسّيطرة على أفكارك لكي ترضى بقضاء الله وتسأله أن يغيّر حالك إلى أحسن حال. فهو القادر والضّارّ النّافع ومن بيده الأمر. فأحسِن الظّنّ بالله إذا أُقفِلَت بوجهك الأبوابُ.
- وقد يأتيك من يدلّك على باب الرّزق الحرام، فاعلم يقينًا أنَّ رزقَكَ مَكتوبٌ، وسيأتيك حلالًا أو حرامًا بالطّريقة الّتي تختارها. فلا تكن أُلعوبةً في يد الشّيطان، فتُصغي إلى إغراءاته، وهو يقول لك ليس عندك إلّا أن تأخذَ هذا الحرام! ولكن اثبت وسيأتيك الحلال ولو بعد حين. و اعلم أن الغاية لا تبرر الوسيلة والحل يأتي من عند الله بالثقة به وحسن تقواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[٣].
- من منّا لا يلجأ للدّعاء إذا ألمّ بهِ أمرٌ؟ هل تعلم أنّه يُستجابُ فقط لمن يدعو ربَّهُ وهو موقنٌ بالإجابة ومنتظرٌ فرجًا قريبًا من عنده؟ لا استجابة لمن يدعو بلسانه وقلبه مليء بالشّكّ... فالإنسان ينبغي أن لا يملَّ مِن دعائهِ بالخير، وَلْيَحْذَرْ أن ييأسَ ويقْنَطَ، لقوله ﷺ: ﴿يُسْتَجابُ لأَحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يَقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لي﴾[٤].

ما لم يعجل يعني أن يسأمَ ويتركَ الدّعاء أو يستبطِئَ الإجابة.

من الأخلاق المُحمَّدِيّة: الحكمةُ والثّباتُ عليها

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٥]، والحكمةُ تحفظُ الإنسانَ مِن ارتكابِ السُّوءِ أو التّلفّظِ به، أو التّسرّعِ والتّجنّي على الغير، أو عملِ ما يضطرّه للاعتذار وطلبِ العفو. أمّا الثّباتُ فهو البقاءُ على الشّيء والاستمرارُ فيه، كالثّباتِ على العملِ والموقفِ والمبدأِ والطّريقِ والمرابطَةِ عبر المداومةِ على الطّاعاتِ، والمُعتقداتِ، والخدماتِ، والأعمالِ الصّالحة، وكلّ شيء يقرّبُنا إلى الله. فأغلب الناس يخالفون الحكمة ويدعونك أن تقلدهم، فتمسك بالقواعد والمبادىء ولا تطع أغلب الناس كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿مِنَ المُؤْمِنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[٦]. وكان رسول الله ﷺ يسألُ ربَّه الثّباتَ على الحقّ: ﴿يا مُقَلِّبَ القُلوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨ (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨ (٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢- ٣.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة. رقم الحديث: ٦٣٤٠. كتاب: الدّعوات. باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل. ورواه مسلم في صحيحه. رقم الحديث: ٢٧٣٥. كتاب: الذّكر والدّعاء والتّوبة. باب: يستجاب للدّاعي ما لم يعجل.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩. (٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٧) رواه أحمد في مسنده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم الحديث: ١٢١٠٧، مسند المكثرين من الصّحابة، باب: مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.

التوجيهات:

- الخوف من الفقر إنما هو وسوسة شيطانية؛ فلا تجعل الفقرَ سببًا لتركك الإنفاق والأعمال الصالحة، ﴿ٱلشَّيۡطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

في السّيرة والشّمائل

قصة مِن حياة النّبيّ ﷺ: الصادق الأمين والنزاع على وضع الحجر الأسود

كان رسولُ الله ﷺ معروفًا بين أهلِ مكّةَ بـ"الصّادقِ الأمينِ" قبلَ أن يُصبِحَ رسولًا. وكان معروفًا بينَ الجميعِ بسموّ أخلاقِه وحسنِ صِفاتِهِ وَرجاحَة عقلِه. في إحدى السّنين، أصابتِ الكعبةَ سيولٌ فتَشقّقتْ وَتضرَّرت مِن جرّائها. فقرّرت قريش أن تجدّدَ بناءَ الكعبةِ المشرّفة. وعندما وصلوا إلى ترميمِ موضعِ الحجرِ الأسود، حدَث جدالٌ كبيرٌ حولَ مَن سيضعُه مكانَه لأنّه مَن يضعُه في مكانِه يكونُ لقبيلته الشّرفُ والفخرُ. فتنازعوا ونزغَ الشّيطانُ بينَهم ورفعوا السّيوفَ واستعدّوا للتّقاتُلِ في ما بينهم! فأشارَ عليهم المخزومي، وكان أكبرَهم سنًّا، بأنّ أوّلَ مَن يدخلُ مِنَ البابِ سيكونُ حَكَمًا بينَهم، فقَبِلوا بذلك.

وأراد الله الحكيمُ أن يكونَ رسولُ الله ﷺ أوّلَ مَن يدخلُ مِن ذلكَ البابِ!... وكان شابًّا في الخامسةِ والثّلاثينَ مِن عمرِه، أي قبل خمس سنواتٍ مِن النّبوّة. فاستبشَروا بقدومِه، وقالوا: "جاءَ الصّادِقُ الأمين!" فأخبروه بالنّزاعِ بينهم وبما اتّفقوا عليه، فقال ﷺ: "ائتوني بثوبٍ". فجاءوا بثوبٍ كبيرٍ، فأخذَ الحجرَ الأسودَ ووضعَه فيه وقالَ لهم: "لِتَأْخُذْ كُلُّ قبيلةٍ بِطَرَفٍ مِنه (أي بِطَرَفِ الثّوب) ثمّ ارفعوه جميعًا". فأقبلَ مِن كلّ قبيلةٍ رجلٌ، وأخذَ بطرفِ الثّوبِ ورفعوه جميعًا قربَ موضعِه في الكعبة. عندئذ، أخذ النّبيّ ﷺ الحجرَ ووضعَه في مكانِه بيَدِهِ الشّريفةِ وأتمّوا بناءَ الكعبةِ على أحسنِ صورة.

كانَ للنّبيّ ﷺ حِكمةٌ عظيمةٌ بهذا الحُكْمِ العادلِ، وكانَ هذا هو الحلَّ المناسِبَ لِتنجوَ القبائِلُ مِن حربٍ كادَت تَقَعُ بَينَهم، وحُفِظَت حقوقُ الجميعِ في المُشارَكَةِ في رفعِ الحَجَرِ الأسود دونَ أن يُميّزَ أحَدٌ عَن غيره.

قصة من حياة سيّدنا إبراهيم عليه السلام:

بعدَ أن وضعَ سيّدُنا "إبراهيم" عليه السلام "هاجر" وابنَها الرّضيع "إسماعيل" في مكّةَ، وكانت أرضًا مهجورةً ليسَ فيها إنسانٌ ولا ماءٌ ولا زرعٌ، وَهَمَّ بِالرّجوعِ إلى ديارِهِ في فلسطينَ، قالت له "هاجر": "إلى أين تذهبُ وتتركُنا هنا في هذا الوادي؟ آللهُ أمرك بهذا؟!"، قال: "نعم"، فقالت: "إذن لا يُضَيّعُنا" (وهذا حُسنُ ظنٍّ بالله). فانطلقَ "إبراهيم" عليه السلام ووقفَ في مكانٍ بحيثُ يراهما ولا يَرياه، فدَعا اللهَ تعالى بكلمات: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1]. وأخذَت "هاجر" تُرضِعُ "إسماعيل" عليه السلام وتشربُ مِن الماء الّذي معها حتّى نَفِدَ. فعَطِشت وعطِشَ ابنُها، وَأَخَذَ يَتلوّى وهي تنظرُ إليه، فَأَخَذَت تَسعى ما بينَ تلّةٍ اسمُها الصّفا وتسعى في الوادي وتتجاوَزُه حتّى تصلَ الى تلّة أخرى اسمُها المروة، وفعلت ذلك

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

سبعَ مرّات. وإذ بها تسمعُ البُشرى (انظري رضيعَك)، فذهَبَت فوَجَدت أنَّ الله تعالى قد فَجَّرَ بئرَ ماءٍ تحتَ قدمِ رضيعها. ففَرِحَت فرحًا شديدًا وَشَكَرَت ربَّها. أخذَت مِنه بِيَدِها وَجَعَلَت تَغرِفُ منه في سقائها وهو يفورُ فَشَرِبَت حتّى ارتَوَت وأرضَعت "إسماعيل" وَسَمَّتِ البئرَ "زمزم" (ظنّت بالله خيرًا فأكرمها). ومَرَّ بها قومٌ وهي عندَ الماء فَسألوها: "أتأذنينَ أن ننزلَ عندكِ؟"، فقالت لهم: "نعم"، فَنَزَلوا في المكانِ هُم وأهلهم، وقد كانوا مِن العرب، واستقرّوا في مكّة وبنوها وصاروا يدفعون لـ"هاجر" وابنها ثمنَ الماء (وهذا ظنُّ سيّدنا "إبراهيم" بربّه). فشبَّ "إسماعيل" عليه السلام بينَهم وتحدَّثَ العربيّة.

وما هي مكّة عليه اليوم مِن خيرٍ وتجمّعٍ للحجّاجِ والمُعتمرينَ، إلّا بِبَرَكَةِ دعوةِ سيّدِنا "إبراهيم" ويقينِه، وإيمانِ السّيّدة "هاجَر" بِوَعْدِ الله وَحُسْنِ ظنّها بهِ سُبحانَه.

إنّ ما حصل مع السّيّدة هاجر رضي الله عنها ليسَ غريبًا، وليس محصورًا بها فقط. لقد ضرب الله تعالى لنا المثل بما حصل لها للعبرة، لكنّ من أخرج لهاجر الماء وأحضر لها الطّعام وآنسها بقبيلةٍ تسكن معها، سيُبَدّلُ كلّ من أحسن الظّنّ به خيرًا كثيرًا، وكلّ من توكّل عليه دون سواه من الخلقِ فرجًا عاجلًا.

قصّص من الحياة المعاصرة:

- **لا عليكَ فيه خيرٌ:**

كان لأحدِ الملوكِ وزيرٌ حكيمٌ دائمُ حُسنِ الظّنّ بالله، يصحبُهُ مَعَهُ في كلّ مكانٍ. وكانَ كلّما أصابَ الملك ما يُزعجُه، يقولُ له وزيرُه المُقرّبُ: "لا عَلَيْكَ، فيه خيرٌ". فَيَهدَأُ المَلِكُ. وفي إحدى المرّاتِ، كان الملكُ يُصلح سِلاحًا له فقَطَعَ إصبَعَهُ بالخطأ، فَنَظَرَ إلى وزيرِه غاضبًا، فقالَ الوزيرُ بِكلّ ثباتٍ: "لا عليكَ فيه خيرٌ!" غَضِبَ المَلِكُ غَضبًا شديدًا، وَبَدَأَ يَصرُخُ قائلًا: "وما الخيرُ في ذلك؟" وأَمَرَ بِحبسِ الوزيرِ، فقالَ الأخير "لعلّهُ خير". وبَعد بِضعةِ أيّامٍ، خَرَجَ الملكُ كعادَتِهِ للصّيد، وابتَعَدَ عَن حُرّاسِهِ لِيَتعقّبَ فريسَتَه، فَمَرَّ على قومٍ يَعبدون الأصنامَ؛ فَقَبَضوا عليه. حاولَ الملكُ حينَها أن يُعرّفَ عَن نفسِهِ وَعن مكانَتِهِ، ولكن دون جدوى. لأنّه لم يَكُن يفقهُ لُغَةَ هذه القبيلة. فحاولَ مُقايَضَتَهُم بالمالِ، ولكنَّهم أصرّوا على تقديمِهِ قُربانًا لأصنامِهم كما جَرَتِ العادَةُ عندَهم. وَعندما جهّزوه لِلذَّبْحِ وَأَيقَنَ المَلِكُ أنّه مقتولٌ لا محالة، انتبهَ زعيمُ القبيلة أنّ إصبعَه مقطوعٌ! وَهذا قربانٌ ناقِصٌ لا يُقبلُ على زَعْمِهِم! فَصاحَ قائلًا: "اللّعنَةُ سَتَحِلُّ عَلَينا!". فَأَسرَعوا وَفَكُّوا وِثاقَ المَلِكِ وَأَطلقوه بعيدًا عَن قبيلتِهِم خَوفًا مِن أن تتنزّلَ عليهِم اللعنَةُ مِن أصنامِهم.

انطلقَ الملكُ فَرِحًا بَعدَ أن أنقذَهُ الله مِنَ الذّبح. وفورَ وُصولِهِ إلى القصرِ أَمَرَ الحرّاسَ بأن يأتوا بوزيرِهِ المسجونِ، واعتَذَرَ مِنه عمّا صَنَعَهُ معَهُ، وَقال: "لقد أدركتُ الآن الخيرَ الّذي أرادَه الله في قطعِ إصبعي، وَحَمَدْتُ الله تعالى على ذلك، ولكنّني في حيرةٍ من أمري!" قالَ الوزير: "لماذا؟" ردَّ الملك: "عندما أَمَرْتُ بِسجنِكَ قُلتَ: "لعلّه خير... فما الخيرُ لَكَ في ذَلِكَ؟" أجابَ الوزيرُ ضاحكًا: "لو لَمْ تَسجنّي أيُّها الملكُ، لَصَحِبْتُكَ في رِحلةِ الصّيد هذه، وكُنتُ سَأُقدَّمُ قُربانًا لأصنامِهم بَدَلًا مِنك عندما يرونَ أنّ إصبعَك مقطوعٌ وإصبعي سليم". أجابَ الملك: "صَدَقْتَ، هذا صحيح".

«عساه خيرًا وكلّه خير».

● ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾:

كان فضيلة الشّيخ محمّد متولي الشّعراوي رحمه الله في حفل داخل فندق (أوبروي) في القاهرة، فجاءه مدير الفندق وقال له: يا شيخ متولي أريد أن أتكلم معك في مسألة، أنا مدير الفندق، وهنا يقدّم المشروب، وأنا الّذي أشتريه، وأُحاسب عليه، فماذا أفعل وأنا محتاجٌ إلى العمل؟

قال له الشّيخ الشّعراوي: قدِّم استقالتك والله سبحانه وتعالى يعطيك عملًا خيرًا منه.

قال له المدير: تقصد أن أبحث عن عملٍ آخر ثمّ أُقدم بعدها استقالتي؟

قال له الشّيخ الشّعراوي: ماذا تقول الآية؟ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

قال له المدير: سأبحث عن عملٍ آخر وعندما أجده أُقدم استقالتي.

قال له الشّيخ الشّعراوي: لماذا أنت مصرٌّ أن تقلب الآية؟

الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، قدّم استقالتك، والله يجعل لك مخرجًا.

قال له المدير: بس يا مولانا أنا عندي عيال وعندي أولاد بالمدارس...

قال له الشّيخ الشّعراوي: هل تشكُ بوعد الله؟!!!

قال له: أعوذ بالله...

فذهب الرّجل وكتبَ استقالته ووقّعها، وهمّ بإرسالها بالفاكس، وإذ بالمدير العام لفندق (أوبروي) يتصل به قائلًا: نريدك في خدمة.

قال له: تفضل. قال المدير العام: مدير فندق (أوبروي) في المدينة المنورة قد توفي، ونريدك أن تستلم مكانه، وسوف نضاعف لك المخصصات والرّواتب. فوافق المدير ولم يصدّق ما سمعه للتوّ، خصوصًا أنّ فندق (أوبروي) المدينة لا يقدم المشروب، وليس فيه حرام، بالإضافة إلى أنّه بخدمة رسول الله ﷺ وضيافة أحبابه ﷺ.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. قد يكون الرّزق مالًا أو زوجًا أو شأنًا. لكن الأساس هو حقيقة التوكّل على الله وحده، دون خوفٍ أو وَجَل.

في السّلوك

الإشارة: إذا توجه المريد إلى الله تعالى، وأراد سلوك طريق الهجرة إلى الله تعالى، تعرض له الشيطان، اختبارًا منه تعالى وابتلاء، إذ الحضرة محروسة بالقواطع ليظهر الصّادق في الطلب من الكاذب، فيخوفه من الفقر، ويأمره بالوقوف مع الأسباب والعوائد، وهي أفحش المعاصي عند الخواص، إذ الهمة العالية تأنف عن الاشتغال بغير الحضرة الإلهية. والله يعدكم- أيها المتوجهون إليه- مغفرة لذنوبكم، وسترًا لعيوبكم، فيغطي وصفكم بوصفه، ونعتكم بنعته، فيُوصلكم بما منه إليه من الفضل والجود، لا بما منكم إليه من المجاهدة والمكابدة، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، (والله واسع) الجود والإحسان، (عليم) بمن يستحق الفضل والامتنان.

الإشارة: الحكمة هي: شهود الذات مرتديةً بأنوار الصفات، وهي حقيقة المعرفة، ومن عرف الله هابه، ولذلك قال عليه الصّلاة والسلام: «رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2]. وقيل: هي تجريد السر لورود الإلهام، وقيل: هي النور المفرق

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، عن ابن مسعود، حديث رقم: ٧٢٩، باب: الخوف من الله، الحديث مرفوع وصححه السيوطي في الجامع الصغير.

بين الوسواس والإلهام، وقيل: شهود الحق تعالى في جميع الأحوال. والتحقيق: أن الحكمة هي إبداع الشيء وإتقانه حتى يأتي على غاية الكمال، ويجري ذلك في العلم والعمل والحال والمعرفة.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

رَبَّنَا آتِنَا الحِكْمَةَ وَفَصلَ الخِطابِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أُولِي الأَلْبَابِ.

يا مقلّب القلوبِ ثبّت قلبي على دينك.